الباب الأول

مصر المكان والسكان

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

مصر المكان

مصر،، هذا الاسم الغالي على مسامعنا، والذي يعني الكثير لمن يحمل جنسيتها، وكذلك لمن لم ينل هذا الشرف، لما هذا الاسم ؟

هل تعرف لماذا سميت مصر بهذا الاسم ؟

ذهب المؤرّخون في هذا الأمر مذاهب عدة، وتعددت أرائهم، بحثنا في جميعها ورأينا أن أدقها، والأكثر اقناعًا لنا رأيان، لا نرجح أحدهما على الآخر، وإنما نرى أن الصواب في أحدهما إن شاء الله، وهما:

- الرأي الأول يرى أن مصر سميت بهذا الاسم نسبة إلى (مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام)، حيث أن بيصر بن حام هو أول من سكن مصر بعد الطوفان الذي حدث زمن نبي الله نوح عليه السلام، وكان مصر أكبر أبنائه، وهو الذي ساق أباه وجميع أخوته إلى مصر فنزلوا بها، فسميت مصر على اسمه، وقد ذكر أن

obeikan.com

نوح عليه السلام دعا له قبل ذلك قائلا " اللهم أنه أجاب دعوتي، فبارك فيه وفي ذريته، وأسكنه الأرض المباركة (الواضح أن نوح عليه السلام كان يقصد أرض مصر)، التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا، وأجعل فيها أفضل البركات، وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم، وقوهم عليها "[1]

- أما الرأي الثاني الذي يراه البعض، فهو أن أصل كلمة مصر مشتق من كلمة أرامية قديمة هي (مـزر)، ومعناها الحد أو الحدود، وذلك لأنه لما كثرت غارات الغزاة على مصر من ناحية حدودها الغربية، أقام الفراعنة القدماء حصونا وحواجز لحماية الحدود سميت مزر، ثم أطلقت الكلمة على مصر كلها.

وفي مطلع تاريخ الفراعنة كانت تسمى (كيمي) أو (شيمي) أو(خيمي) بمعنى الأرض الحمراء.[2]

على أي حال فمصر عرفت بهذا الاسم منذ اقدم العصور، وهي من أقدم البقاع التي عمرها الإنسان على وجه البسيطة، وقامت على أرضها أعرق وأقدم الحضارات التي عرفها البشر.

1- فتوح مصر وأخبارها – صـ7 أبي القاسم بن عبدالله بن عبد الحكم بن أعين القرشي المصري

2- مصر الإسلامية – أ.د. عصام الدين الفقي –ص12

ونرى أن هناك عوامل عديدة ميزت مصر عن باقي بقاع الأرض، أهمها نهر النيل، هذا النهر العظيم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى لمصر، فكان سببا رئيسا في قيام الحضارة على أرضها، فالمعروف أن الإنسان قديما في عصور ماقبل التاريخ كان يعيش حياة غير مستقرة مليئة بالتنقل والترحال بحثا عن الغذاء، وكانت حياته تلك فوق الهضاب سكن فيها الكهوف، فلما حل الجفاف اضطر الإنسان للنزول من فوق الهضاب للبحث عن الكلأ والماء، واذ به يجد نفسه أمام نهر النيل، الذي علمه الزراعة ومن ثم الاستقرار على ضفافه، وبناء المساكن والبيوت والقرى والمدن، فقامت تلك الحضارة المبهرة.

نرى كذلك أن موقع مصر المميز قد منحها فرصة عظيمة لبناء الحضارة، فمصر تتوسط قارات العالم القديم الثلاث (أسيا – أفريقيا – أوروبا)، وتقع مصر تحديدًا في الركن الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، كما أن لمصر امتداد أسيوي متمثل في حوالي 6،5% من مساحتها، هي كل مساحة شبه جزيرة سيناء والتي تقع بأكملها داخل قارة أسيا، فيمكن أن نطلق على مصر دولة أفروأسيوية.

ونستطيع أن نقول أن معظم حدود مصر هي حدود طبيعية متمثلة في سواحل مصر الممتدة لحوالي 3000كم، وهي سواحل بحرين من أهم بحار العالم هما الأحمر والمتوسط، وقد زاد من أهمية موقع مصر الاستراتيجي والاقتصادي ربط البحرين ببعضهما من خلال ممر ملاحي هو الأهم في العالم وهو ما عرف بقناة السويس وما لَحِقَ بها من أعمال تنمية وتطوير في العصر الحديث.

كما تتنوع أشكال السطح في مصر (التضاريس) من جبال وتلال وهضاب إلى أودية وسهول ومنخفضات وغيرها والتي تثري التنوع الجيولوجي لسطح مصر.

ولا يجب أن نغفل عن العامل البشري الذي ساعد على قيام هذه الحضارة، فلولا الإنسان المصري الشغوف بالعمل والتميز والإبداع، ما اكتمل مثلث عوامل قيام الحضارة في مصر (النهر – الموقع – الإنسان).

فيجب علينا أن نضيف إلى مقولة المؤرِّخ القديم هيرودوت "مصر هبة النيل" كلمة "والمصريين"، فلولاهم ما قام النيل ببناء تلك الحضارة.

أما عن الأهمية الدينية لمصر، فتحتاج إلى مجلدات لجمع مادتها، إلّا أننا نختصرها مراعين في ذلك التسلسل الزمني للأحداث كما يلي:

قام نبي **الله** وخليله إبراهيم بزيارة مصر، وتزوج منها السيدة هاجر أم إسماعيل الذبيح الذي فداه **الله** بكبش من السماء، وهاجر هي أم العرب المستعربة أولاد إسماعيل، والجدة الكبيرة للنبي المصطفى المختار محمد بن عبد**الله** ﷺ.

كما نزل النبي يوسف عليه السلام مصر وأصبح عزيزها (وزيرها) وقد وصف **الله** قصة يوسف عليه السلام في مصر بأنها أحسن القصص، ثم دعا إليها أبيه يعقوب (إسرائيل) وهو نبي ابن أنبياء، فيوسف هو ابن يعقوب بن أسحاق بن إبراهيم عليهم السلام أجمعين.

وولد موسى وأخيه هارون بمصر، وكانت دعوتهما عليهما السلام في مصر، وكلم **الله** سبحانه وتعالى نبيه موسى في مصر، كما أن الخضر الذي صاحبه موسى كان في مصر أيضا.

وفي ظل الاضطهاد والتهديد الذي تعرض إليه المسيح عليه السلام في فلسطين من اليهود والرومان، قَدِمَ المسيح وأمه القديسة مريم إلى مصر فيما عرف برحلة العائلة المقدسة.

أما عن النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد أوصى بمصر وأهلها، وتزوج منها أم المؤمنين السيدة مارية القبطية أم ولده ابراهيم.

أما عن مواضع ذكر مصر في القرآن الكريم فهي متعددة، منها:

(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22))

يوسف (٢١)

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)

يوسف (٩٩)

(وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51))

الزخرف (٥١)

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (61))

البقرة (٦١)

على أي حال، فقد شرفت مصر بذكرها في القرآن الكريم، أما النبي عليه الصلاة والسلام، فقد أوصى خيرًا بمصر وأهلها في حديثه لأصحابه:

" أنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحما"

-رواه مسلم –

وفي رواية أخرى:

"اذا فتحتم مصر، فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحما"

-رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني-

وقد علَّل العلماء التوصية في هاتين الروايتين بالرحم والذمة، بكون هاجر أم إسماعيل قبطية (مصرية)، وأن مارية زوجة النبيﷺ قبطية.

والله أعلم

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الثانى

مصر السكان

بعد أن تعرفنا على مصر من حيث المكان، أصبح واجبًا علينا أن نتعرف على سكان مصر، هؤلاء البشر الذين ميزهم الله تبارك وتعالى وخصَّهم بالعديد من الخصائص.

مما خصَّ به الله أهل مصر، أن جعل بينهم الأنبياء، وربطهم بعلاقات الدم والنسب والمصاهرة، فوُلدَ بها من الأنبياء: موسى وهارون ويوشع ودانيال ولقمان، وتزوج إبراهيم الخليل من هاجر المصرية أم إسماعيل، كما تزوج نبي الله يوسف عليه السلام من ابنة صاحب عين شمس[1]، وتزوج النبي الهادي المختار عليه الصلاة والسلام من أم المؤمنين السيدة مارية أم ولده ابراهيم، سلام الله عليهم أجمعين.

1- مصر الإسلامية، ص:11.

obeikan.com

خص الله أهل مصر كذلك بأن وهبهم منذ نزولهم بهذه الأرض الخير الوفير، ولم نجد في ذلك أبلغ من وصف نبي الله يوسف عليه السلام لمصر بأنها خزائن الأرض، مما يدل على وفرة الخير والرزق والموارد بها.

وكثيرًا ما يدور هذا السؤال في خواطر الناس، وتتضارب فيه الإجابات والأراء، ونجد أحيانا تعصب كل باحث لرأيه ويقلل من احتمال صواب الأراء الآخرى، فحاولت أن أصل إلى الرأي الأرجح، من خلال تجميع كل الأراء وبحثها بحثًا يعتمد على العقل مستعينا بما تركه لنا السلف من أثر.

من هم أهل مصر، وما أصولهم ؟

نتناول ذلك من خلال عدة نقاط، لعلنا نصل سويًا إلى اجابة واضحة وكافية:

1. من المسلم به أن آدم عليه السلام هو أول البشر، ومن بعده ساح أولاده وأحفاده في الأرض، ومرت السنوات والعقود، وما لبث أن انتشر الشرك بين الناس، فبعث الله فيهم الأنبياء والرسل ليذكرهم بالله الواحد، حتى جاء الطوفان زمن نوح عليه السلام، ولم ينج من هذا الطوفان أحد إلَّا من حمله نوح معه على الفلك، وبعد أن جف الماء، ونزل نوح ومن معه عن

السفينة، أخذ أولاده وأحفاده من بعده على عاتقهم مسئولية أن يعمروا الأرض من جديد، ومن هنا جاء لقب نوح بأبي البشر الثاني.

ونزل (مصر بن بيصر بن حام بن نوح) مصر، وكان أول من سكنها بعد الطوفان، وعلى ذلك فأهل مصر هم حاميين نسبة إلى حام بن نوح.

2. **قسَّم علماء التاريخ العرب إلى ثلاثة أقسام:**

أ–العرب البائدة: وهي القبائل العربية التي أبادها الله سبحانه وتعالى، ولم يعد لهم نسل أو ذرية، مثل عاد وثمود وغيرهما.

ب–العرب العاربة: وهي القبائل العربية اليمنية التي لم تختلط بغيرها من الأجناس، ومنهم العرب القحطانية.

ج–العرب المستعربة: فكانت هناك حضارة عظيمة في بلاد اليمن قامت على الزراعة حتى انهار سد مأرب، فهاجرت القبائل العربية من اليمن متجهة شمالا، وانتشروا في شبه الجزيرة العربية، ومنهم من واصل رحلته حتى وصل مصر، وبالأخص شبه جزيرة سيناء.

كما نزلت بعض العرب بمكة (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)، ولم يكن بها إلَّا

السيدة هاجر وولدها إسماعيل وكانا على ماء زمزم، فاستأذنتهما تلك القبيلة أن ينزلوا معهما على البئر، فوافقا، وتزوج منهم إسماعيل وخرجت من ذريته القبائل العربية المستعربة، وبما أن هاجر مصرية، فصار أهل مصر أخوال العرب المستعربة أولاد إسماعيل، وهذا القسم من العرب نال شرف أن كان منه خير الخلق محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العدناني من أحفاد إسماعيل، فكثير من المصريين عرب وبقيتهم على أقل تقدير هم أخوال العرب.

3. كان لإبراهيم عليه السلام زوجتان، سارة أم اسحاق، وهاجر أم إسماعيل، أما عن نبي الله اسحاق عليه السلام فقد ولد له يعقوب (إسرائيل)، ويعقوب والد النبي يوسف الصديق، وقد دخل بنو إسرائيل مصر، وكان للمصريين علاقات نسب ومصاهرة مع أنبياء بني إسرائيل، وعلى ذلك، فقد اختلط أهل مصر مع الجنس السامي أولاد سام ابن نوح.

وجدير بالذكر أن علاقة الأخوة بين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام هي السبب في ترديد اليهود عبارة "نحن أولاد عمومة" لنا كعرب.

4. لا نستطيع أن نغفل عن الامتداد الأفريقي لمصر والذي كان سببًا في وجود أصحاب البشرة السمراء من المصريين والذين

يرجعون في معظمهم إلى القبائل النوبية العريقة المفحمة بالوطنية والعزة والكرامة والتي تسكن في أقصى جنوب مصر.

5. لفظ الأقباط هو لفظ يستخدم الآن للمصريين المسيحيين، وهو توظيف خاطئ للفظ، فكلمة قبطي هو مصطلح يوناني تم تعريبه، كان اليونان يطلقونه على المصريين عموما قبل ظهور المسيحية بمئات السنين.

فاللفظ مشتق من كلمة (ايجيبتوس)، والذي اشتق منه أيضًا اسم مصر في الكثير من اللغات الغربية مثل: Egypt في اللغة الإنجليزية. فمصطلح قبطي يطلق على كل المصريين باختلاف أعراقهم أو أديانهم.

6. توجد نسبة قليلة من سكان مصر تنتمي إلى القبائل الأمازيغية التي تسكن شمال غرب أفريقيا، ومعظم أهل مصر الذين من أصل أمازيغي الآن يسكنون الصحراء الغربية في المنخفضات والواحات القريبة من الحدود المصرية الليبية.

7. هناك أعداد ليست بالكثيرة أيضًا من المصريين ترجع أصولهم إلى بعض الجنسيات الأوروبية مثل التركية والجورجية واليونانية والأرمينية وغيرها، ولكل منها أسبابه في اختلاط أهل مصر به.

مما سبق نستنتج أن أفضل وصف لأهل مصر الأن هو أن أهل مصر (مصريون)، هم الذين عاشوا ويعيشون على أرضها، معتزين بانتمائهم إلى أمتهم الإسلامية، فخورين بكونهم قلب الأمة العربية، مقدرين عمقهم الأفريقي الذي مدهم بمياه النيل منذ آلاف السنين، مرحبين ومحتوين لأي عرق أو جنس من البشر قَدِمَ إليهم في أي وقت أو عصر، وعاش معهم في سلام.

• **المصريون والحضارة:**

كثيرًا مايردد الناس مصطلح الحضارة، دون أن يدرك بعضنا مفهومها، وقد تعددت المفاهيم إلَّا أن مؤداها واحد، ويمكن أن نعرف الحضارة بأنها كل ما أنتجه البشر في كل مجالات الحياة سواء كان هذا المنتج ماديًا ملموسًا تراه العين كالعمارة مثلا، أو كان منتجًا ثقافيا يحسه الإنسان كالأدب والشعر.

وقد اجتمع جُلَّ علماء التاريخ على أن أقدم الحضارات هي الحضارات التي قامت على ضفاف الأنهار، حضارة بلاد الرافدين في العراق، وحضارة وادي النيل في مصر.

وقد مرت الحضارة الإنسانية بمراحل عديدة لأجل وصولها إلى مراحل متقدمة، وقد عكف العلماء على وضع وسائل لاقتفاء

ودراسة وتتبع تطور استخدام الإنسان للمواد المتاحة لديه من معطيات البيئة التي يعيش فيها، ولذا نجدهم يقسمون الحِقَبْ إلى عصور حجرية، وعصور استخدام المعادن[1]، وكل منهما انقسم بدوره إلى عدة عصورحسب قدرات الإنسان في استغلال وتطويع هذا المورد.

أما بالنسبة لتقسيم الحِقَبِ الزمنية، فقد اجتمع علماء التاريخ على أن يتم تقسيمها إلى قسمين هما:

1. عصور ماقبل التاريخ: وهي الفترة التي بدأت مع وجود الإنسان على ظهر الأرض، وحتى منتصف الألف الرابع ق.م.، وكانت حياة الإنسان في هذه الفترة حياة بدائية يعتمد فيها على الجمع والالتقاط ثم عرف الصيد واكتشف النار، ولم تكن حياة الإنسان أبدًا مستقرة في هذه الفترة، ولم يعرف حتى بناء المنازل، بل كان يسكن الكهوف. وهناك علماء مختصون بدراسة هذه العصور أغلبهم علماء أنثروبولوجيا وأثار عنهم علماء تاريخ، فإنسان هذا العصر لم يكن قد عرف الكتابة وتدوين الأحداث.
2. العصور التاريخية: بدأت مع معرفة الإنسان الكتابة حوالي عام 3350 ق.م. وقام بتدوين أحداثه ومايدور حوله، وقد بدأت

1- مقتطفات من تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ص-3 د.عودة عبد الواحد.

الكتابة بأشكال وخطوط ورسومات ثم تطورت إلى أحرف مع الوقت، ومع معرفة الإنسان الكتابة وتدوين أحداثه، اعتبرت هذه الكتابات المصدر الأول لدراسة التاريخ.

obeikan.com